الطالب عواج حكيم / اثر الطرق و القوافل التجارية في التواصل الحضاري بين الجزائر و السودان الغربي في العصور الحديثة

مقـــــــدمة

يرتبط التواصل الحضاري بين الأمم بالعديد من المحددات و المقومات أهمها ، العقيدة ،واللغة ،والجوار الجغرافي ،و التجارة ،ومقوم معرفي ...الخ،هذه الأخيرة ،أسست صرحا ترابطيا ،انعكس إيجابا في التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء،في العديد من المظاهر ،خاصة التجارية والثقافية ، حيث تشير الدراسات التاريخية والسيسيولوجية ،و الانثربولوجية ، أن الفكر البشري ينجذب دائما نحو الأفكار و المعتقدات ،و المجتمعات التي تحقق له الطمأنينة العقدية والنفسية والمعيشية ،وكان لانتشار الإسلام،وسماحة مبادئه و خلق أهله(دعاة ،تجارة، علماء) ،هذه السيمات العقدية و الخلفية استقطبت هل السودان الغربي ،لذا ارتبط بالشمال الإفريقي بحكم الروابط الجغرافية والتاريخية ،هذا الشمال الذي حقق له المتنفس الاقتصادي والثقافي و الروحي عبر العصور،حيث حدث تواصل و تكامـــل في بعض فترات التاريخية ،وكانت مرتكزات هذا التواصل الطرق و القوافل التجارية ،حيث أعطت دفعا قويا لتغلل أهل الشمال نحو بلدان إفريقيا جنوب الصحراء و العكس صحيح ،و نتج عن هذا التواصل انصهار ثقافي ورحى بين شعوب هذه الأمم ، حيث ارتبطت وتطورت و ازدهرت عبر مراحل و أجيال متعاقبة ، استطاعت أن تؤسس لتواصل حضاري بين الشمال و السودان الغربي .

لقد كانت الجزائر في العصور الوسطى و الحديثة احدي أهم حلقات التواصل الحضاري بن الشمال و بلدان افر يقيا جنوب الصحراء ،إذ شكل مواقعها الجغرافي و انفتاحها على الصحراء الكبرى ، وتعدد المسالك و الطرق نحو السودان الغربي ،فنشطت تجارة القوافل ،و تنقل العلماء و طلاب العلم بمرونة نحو المراكز الحضارية بالسودان الغربي .

لذا جاءت هذه المداخلة لتجيب على الإشكالية التالية :ما هو اثر الطرق و القوافل التجارية في التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء.

و لإجابة على هذه الإشكالية وجب طرح العديد من التساؤلات التي من شأنها أن تميط اللثام على حيثات البحث ،و تساعدنا في الإحاطة بالإشكالية من كافة جوانبها ،

1- ماهي أهم طرق القوافل التجارية الرابطة بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء.

2-ماهي أهم المراكز التجارية في الجزائر و السودان الغربي.

3-ماهي طبيعة المبادلات التجارية بينهما.

4-ماهي مظاهر العلاقات الثقافية بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء.

5-ما هو اثر الطرق و القوافل التجارية في الميدان الاقتصادي و الثقافي و العمراني.

مناهج البحث :

للإجابة عن كل هذه التساؤلات و الإلمام بجوانب الموضوع ،تم اتباع العديد من المناهج حسب المادة العلمية المتوفرة ،للوصول إلى حقيقة التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء،إذ اعتمدت على المنهج الوصفي ،و التحليلي و الإحصائي ،حيث ترشدنا هذه المناهج إلى ضبط معالم التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى إدراك ورصد أهم المسالك والطرق التي تسلكها مختلف القوافل التجارية المتجه من الجزائر إلى السودان الغربي،و معرفة طبعيه المبادلات التجارية ،وصولا إلى رصد المظاهر الثقافية الناتجة عن الحركة التجارية بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، لنصل في نهاية البحث إلى فهم انعكاسات الطرق و القوافل التجارية على هذا التواصل في جانبه الاقتصادي و الثقافي و العمراني.

تمهيد:

شكلت الطرق و المسالك أهم المرتكزات الأساسية في التواصل الحضاري بين الجزائر و السودان الغربي على مر العصور،فما هي أهم طرق القوافل التجارية الرابطة بين الجزائر و السودان الغربي.

أولا: طرق القوافل التجارية :

شهدت الصحراء الكبرى الإفريقية ،مدا إسلاميا مكثفا عن طريق بلدان الشمال الإفريقي ،خاصة في العصور الوسطى ، إذ لعب المرابطون و الموحدون دورا بارزا في نشر الإسلام و إرساء قواعده في أعماق الصحراء ا لكبرى في مابين القرنيين (10-12)م،كما قامت العديد من المملكات

بإفريقيا جنوب الصحراء في العصر والحديثة،أهمها مملكة مالي (1670م)، مملكة صنغاي(1594)،و

مملكة برنو ما بين القرنين (15-19)م...الخ[1] ،و من أهم المسالك و الطرق التجارية الرابطة بين الجزائر و بلـــدان إفريقيا جنوب الصحراء نجد:

1:طريق و هران ارزيو إلى تمبكتو: و يمر على خيثر و المشرية ،و عين الصـــفراء ،و فقيق،ويتبع مجري واد زرزفانة إلى اجلي ، حيث يلتقي بطريق فاس تمبكتوا .

و لهذا الطريق فرع يبدأ من خيثر إلى البيض، و الأبيض سيدي الشيخ ،و المنقب ، وتـوات ، حيث يلتقي بطريق وهران ،و فاس،و مكناس إلى تمبكتو[2].

كما كان للتجارة دورا بارزا في الصلات و العلاقات التجارية و تحديد طابعـها بين المماليك و الإمارات الصحراوية و بلدان شمال إفريقيا طوال العصور الوسطى والحديثة ، وكـان لثروات بلدان إفريقيا جنوب الصحراء،أن استهوت المغاربة و الأوروبيين خاصة مطلع القرن الثامن و التاسع عشر الميلادي، لذا عزموا على استكشافها ثم غزوها في ما بعد ،و قد تحقق ذلك[3].

2:*طريق مدينة الجزائر إلى تمبكتو:* و يمر على البليدة ، وبوغار ، الأغـواط ،و غـرداية ،و عين صالح ، و أكابلي، وبئر تيريشومن،حيث يلتقي بطريق توات تمبكتو،وقد سبكه الضابط بالا[4].

ولهذا الطريق فرع أخر ينطلق من عين صالح إلى بئر عيسو،و تنتيلوست ،حيث يتفرع إلى فرعين ،الفرع الأول إلى اقاديم، وماو شرق بخيرة التشاد، و إلى اقاديم و جنوب كوكا ،والفرع الأخـر إلى

---

[1]-يحي بوعزيز،تاريخ افريقيا الغربية،طبعة خاصة،دارالبصائر للنشر و التوزيع،الجزائر،2009،ص-38-39.

[2]- Edourd blanc ,les routes de l'afrique septentuionale au soudan(buk.soc),paris ;1890.p-169-207.

[3] بشار لطيفة،التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بنب عبد الواد من القرن السابع الى القرن العاشر الهجريين،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،1986،ص 89-90.

[4] يحي بوعزيز المرجع السابق،ص 41.

الجنوب الغربي نحوا اقاديس حيث يتفرع هو الأخر إلى فرعين ،فرع إلى سوكـوتو و فـرع إلى كاتسنسا[5].

3:طريق سكيكدة و قسنطينة إلى أمقيد و الهقار ، وتمبكتو ، حيث يمر على باتنـة ، وبسكرة ،و تقرت،و ورقلة[6] ،و البيوض ،و أمقيد ، و القهار ، و تيمساو ،و ايفرون ، إلى مبروك ، وتـمبكتو[7].

وتشير الدراسات التاريخية على أن الهقار كان لها دورا كبيرا في تجارة القوافل ما بين القرنـيين (17-18)،حيث شكلت محورا رئيسيا لعبور و توقف القوافل،قبل مواصلة رحلتها نحوا بلدان إفريقيا جنوب الصحراء[8].

و كان لهذا الطريق فرع أخر يمر جنوب بسكرة و يتجه إلى واد سوف،و من هناك إلى غـدامس ، وغات[9] ، و جبادو، و بلما،واقاديم،وماو،وفرع آخرمن البـيوض إلى عين صـالح،و فرع ثالـث إلى غات .

إضـافة الى طريق مراكش تمبكتو و الذي يمر عبر تارودانت،و تاوريرت،و تندوف ،و يخترق رمال إيقيدي،و عرق الشيش،و يتجه إلى تاوديني،كمـــا يخـترق الـجوف شرقا مارا بأونان،لـيتجه إلى تمبكتو،وقد سلكه الدكتور اوسكار[10].

و الملاحظ هو ازدهار العلاقات التجارية بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء ،بفضل تجارة القوافل التي تمر عبر المسالك السالفة الذكر ،وعلى الرغم من الصعوبات التي كانت تواجه القوافل التجارية (قلة المياه، مشقة السفر ، قطاع الطرق ، الزوابع الرملية ، كثرة الضرائب..الخ) ،إلا أنها استطاعت أن تبتدع العديد من الآليات لضمان أمن وسلامة القافلة ،حيث استطاعت هـذه القوافل أن تربط الشمال بالسودان الغربي ،نظرا لتوفر هذا الأخير على ثروات كبيرة خاصة الذهب و العاج و العبيد ، هذه السلع التي كانت رائجة في الشمال الإفريقي ،وأضحت هذه القوافل الواسطة بين أوربا و السودان الغربي ، وأصبحت أسواق السودان مفتوحة على جميع المنتوجات [11]، خاصة النسجية و المعيشية و الصناعية ، إذ منحت هذه القوافل عبر هذه الطرق دفعا قويا للتـجارة الجزائرية،

---

[5]-يحي بوعزيز المرجع السابق،ص 40.

[6]-يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 41.

[7]الحسن محمد الوازان،وصف إفريقيا،ط2،ترجمة،حجي،أدور المغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1983،ص 195.

[8]المصدر نفسه،ص196.

[9]تعتبر أسواق واد سوف و بسكرة و تقرت وورقلة من الأسواق التي تستقطب القوافل التجارية القادمة من السودان الغربي،وهذا الطريق من أهم الطرق أمنا بالنسبة للقوافل التجارية .

[10]نبيلة حسن محمد،في تاريخ إفريقيا الإسلامية،دار الألمعية الجامعية ،الجزائر ،2013،ص 141-142.

[11]يحي بوعزيز المرجع السابق،ص 42.

وربط صلات تجارية عميقة مع تجار السودان الغربي ،خاصة أهل توات و تمنطيط ،اللتين تعتبران ممران رئيسيان للمرور وتوقف القوافل التجارية المارة إلى السودان الغربي والى الجزائر أو للبقاع المقدسة للحج[12].

ثانيا :أهم المراكز التجارية بالجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء في العصور الحديثة

تشير الدراسات التاريخية على أن المراكز التجارية ،تشكل القلب النابض لهذه العواصم الاقتصادية لمماليك الدول بالسودان الغربي ،إذ ارتبطت بمختلف الطرق القوافل التجارية القادمة من الشمال الإفريقي خاصة الجزائر ، إذ كانت القوة الاقتصادية عاملا مهما في بقاء أو أفول المماليك ، كما أنها تعبر عن رقي و تطور الشعوب ، لذا كان لهذه الأسواق دورا كبيرا في الازدهار و الرقي الاقتصادي و الثقافي، إذ نشطت الصناعات الحرفية ،و النسيجية،المعيشية ، وتجارة الرقيق ، فما هي أهم الأسواق التي كانت تستقطب تجارالجزائر للممارسة نشاطهم التجاري وماهي أهم السلع المتداولة بين السودان الغربي و الجزائر في العصور الحديثة .

لقد رصدت لنا المصادر والتراجم على الكثير من منابع التواصل التجاري و الثقافي ، والذي كان للتجارة القوافل دورا بارزا فيه،إذ ظهرت العديد من العواصم و المراكز و الأسواق التجارية عبر التاريخ و من أهما :

أسواق السودان الغربي نجد تمبكتو[13]،و أوران ،و أونان ،و أكابلي،وجني[14] ..الخ، أما أسواق السودان الأوسط ،فتعتبر سوكوتو[15] ،وكاسنا،وتاقليلي،واقاديس ، وكوكة[16]، وبورنو، و ماو ، اقاديم ،إذا كانت بهذه الأسواق حركة تجارية نشطة شملت العديد من المبادلات التجارية و مختلف السلع ، أما أسواق السودان الشرقي فلا تقل أهمية على نظيرتها في السودان الغربي أو الأوسط ، إذ

---

[11]محمد طمار،الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج،ب ط،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983،ص 236- 237.

[13]**تمبكتو**:تقع على حافةالجنوبية للصحراء الكبرى،تأسست على يد الطوارق في القرن 11م،تعتبر من أهم أسواق السودان الغربي،و عرف القرن السادس عشر الميلادي بالعصر الذهبي لهذه المدينة ،إذ بلغت القوافل القادمة من الشمال الإفريقي،1200 جمل،و بفضل موقعها المتميز استقطبت النجار و العلماء ،و أصبحت عاصمة ثقافية و تجارية بامتياز،للمزيد انظر:بحي بوعزيز،تاريخ افريقا الغربية ،ص157-158.

[14] **جني:** شيدة مدينة جني على الضفة اليسري لنهر بانب احد راوفد نهر النيجر،وذلك عام 1033 م،بتعدعن تمبكتو بحوال 200كلم،ذكرها السعدي على انها سوق عظيم للتجار الملح الذي يتم جلبه من مناجم تيغزاو الذهب المجلوب من بط ، دخل أهلها الإسلام في حدود 1203م،للمزيد انظر بحب بوعزبز :تاريخ افريقيا الغربية ،ص 156.

[15] **سوكوتو:** عاصمة بلاد الهوسة ،اشتهرت بالمنسوجات القطنية و الدباغة.انظر ، عيد الكامل عطية، الروابط التجارية بين الشمال. و جنوب الصحراء الكبرى من خلال المصادرالعربية و الرحالة الأوربيين بين القرنين(15-19)م ،مجلة كان التاريخية،العدد23،الجزائرنمارس2014،ص.55

[16] **كوكة**:عاصمة إقليم بونو،تقع على مسافة قريبة من بحيرة التشاد،اشتهرت بصناعة الجلود،و الصباغة.

عرفت حركة تجارية نشطة خاصة مع بداية العصور الحديثة ، ومن أهم أسواقها المشهورة نجد كردوفان ، والخرطوم ، ودنقلة ...الخ[17] .

الملاحظ حسب المصادر و المراجع المتوفرة لدينا أن التجارة مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء كانت محتكرة من تجارة بلدان شمال إفريقيا خاصة الجزائر.

أما بالنسبة للأهم الأسواق و المراكز التجارية بالجزائر فكانت تختلف باختلاف موقعها الجغرافي ، فهناك أسواق الجنوب الشرقي و الجنوب الغربي للجزائر ، وأسواق الشرق و الوسط و شمال الجزائر[18]،إذ تشير الدارسات إلى أن أهم الأسواق التي كان لها دورا فاعلات في الصلات التجارية مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، توات[19] التي تعتبر من المراكز التجارية الهامة فموقعها أهلها أن تكون حلقة وصل بين الشمال الإفريقي و السودان الغربي ،و تعتبر تنمطيط من أهم المراكز الاقتصادية بتوات[20] ،إضافة إلى أسواق تندوف ، الهقار ،ورقلة ، الساورة ،تقرت،الزاب،وداي سوف ، تماسين، ، غرداية، قسنطينة...الخ، مع تأكيد المصادر و المراجع على وجود الأسواق الجوارية و الجهوية التي كان لها دور كبير في تنشيط المبادلات التجارية سواء الداخلية أو الخارجية .

أما في ما يخص في السلع و البضائع المتداولة بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، إذ تعتبر أسواق قصور الجنوب الغربي التي تقع على الطريق التجاري الرابط بين إفريقيا الغربية من ناحية و تلمسان و بلاد الأندلس من جهة أخري،ذات تبادل التجاري مكثف بين التجار، ومن السلع التي يتم تصديرها إلى بلاد السودان، الأسلحة بأنواعها ،المصنوعات الزجاجية ،العطور ،القرنفل ،المنتوجات الزراعية ،بينما يشترون الذهب ،و العاج ، العبيد، و التي يتم تصديرها للأوربيين ، أو الاستهلاك المحلي[21] .

---

[17] يحي بوعزيز ،المرجع السابق،ص45.

[18] فرج محمد،إقليم توات خلال القرنين الثامن والتا سع عشر الميلادي،المؤسسة الوطنية للكتاب،1988،ص12.

[19] **توات** اختلف المؤرخون في أصل تسميتها ،هناك من يري انها تسمية لمرض أطلق عليه توات ،وذلك حسب رواية عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان ،ص 07، غير أن شيخ المؤرخين و القاضي سيدي محمد بن عبد الكريم عيد الحق البكري،في مؤلفه، درة الأقلام في اخبار المغرب بعد الإسلام،ان أصل تسميتها يرجع إلى الموحدين،فوجدوا فيها خيرات كبيرة خاصة فاكهة التوت ،فأطلق عليها توات،و يشير الدكتور عبد الكامل عطية انه كان يوجد بواحات توات،عدة إمارات و مماليك صحراويةصغيرة،يسيطر عليها التجار الأثرياء و ذوي الجاه و النفوذ الديني،و يهتم سكانها بتجارة القوافل التي تمر على واحاتهم ذهابا و إيابا،للمزيد انظر عبد الكامل عطية،الروابط التجارية بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى ...،ص 52.

[16] حمية بن أصغير حاضري،الحركة التجارية بالجنوب الشرقي للجزائر ما بين (10-17)م،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، عدد16 الجزائر،2012،ص 225

[21] محمد أبيدي / المرجع السابق ص 323.

أما السلع الرائجة في أسواق الجنوب الشرقي للجزائر ،والتمور،والألبسة بأنواعها ،و الصوف،و القمح ،و البقول، والبرانس،والمرجان،والشواشي، ...الخ[22] ،إضافة إلى بعض المنتوجات الأوربية كمواد الزينة، حيث يتم تصريف هذه البضائع بأسواق بلاد السودان ويتم جلب أنياب الفيلة ، القماش الأزرق، البخور السوداني ، جلود الحيوانات ، الصمغ السوداني .[23]

غير انه مع مطلع القرن السادس عشر اشد الطلب على شراء العبيد ،من طرف تجار الشمال الإفريقي خاصة الجزائر ، لأنها لا تقل أهمية على تجارة الذهب و العاج [24].

ومن خلال تتبعنا للطرق القوافل و حركة القوافل التجارية نستنتج أن التجارة العابرة للصحراء يسيطر عليها أهل القصور سواء الجنوب الغربي او الجنوب الشرقي للجزائر، نظرا للموقع الجغرافي الذي أهل العديد من مدنها لان تكون حلقة وصل تجاري بامتياز ، واستطاعت هذه المدن لعصور أن تسيطر على الحركة التجارية الصحراوية نحو بلدان إفريقيا جنوب الصحراء،أما في ما يخص المنتوجات المستوردة من ببلاد السودان تكاد تكون ثابت و يغلب عليها الذهب، العاج، ريش النعام، أنياب الفيلة،أما السلع التي يتم تصديرها نحو السودان الغربي،فالغالب عليها الألبسة بمختلف ألوانها وأنواعها وأشكالها، والأسلحة بأنواعها،و الأواني المنزلية الفخارية والحديدية، إضافة إلى المنتوجات الزراعية ،التمور،القمح ...الخ[25]،وكانت المقايضة هي الغالب في التعامل التجاري،إضافة إلى بعض العملات المتعارف عليها في ذال الوقت ،كالكوري[26]،البينتو،الدينار الشائع في بلدان المغرب العربي،المثقال الذهبي ...الخ[27].و شكلت تجارة القوافل بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء ،أهم قـــناة رئيسة أسست للتفاعل اقتصادي و ثقافي و حضاري بينهما،

---

[22] حاضري يمينية بن الصغير ، المرجع السابق ،ص 229.

[23] محمد أبيدي ،دور قصور الجنوب الغربي الجزائري في تجارة الصحراء ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (13-15)م،.ص 323

[24] محمد شاطو،أهمية تمنطيط و دورها في تجارة القوافل خلال العصور الحديثة، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ،عدد 9، الجزائر ديسمبر 2009،ص 297.

[25]- زبادة عبد القادر،ورقلة عاصمة مدائن الجنوب الجزائري،مجلة الأصالة،الجزائرعدد،خاص ص 143-147.

[26] الكوري،عملة فارسيةوهندية،مستوردة،قيمتها منخفضة جدا ،للمزيد العملات و الأسعار ،انظر :يحي بوعزيز ،تاريخ إفريقيا الغربية، ص-48.49

[27] عطية عبد الكامل ،الروابط التجارية بين الشمال و جنوب الصحراء الكبرى من خلال المصادرالعربية و الرحالة، الأوربيين بين القرنين(15-19)م،ملجة كان التاريخية،العدد23،الجزائرنمارس2014،ص55-56.

و أعطت هذه الحركية إلى شعوب هذه الأمـم الاضطلاع عل المنتوج و التنوع الاقتصادي بين هذه الأقاليم بتنوعها و تفرعها ، وأبرزت المعيار الحضاري و التقاليدي الذي امتزج مع مر السنيين بين هذه الأمم[28] .

ثانيا:العلاقات الثقافية بين الجزائر و بلدان افريقيا جنوب الصحراء قي العصور الحديثة

لقد لعبت طرق و القوافل التجارية دور كبيرا في التواصل الثقافي بين الجزائر و بلدن السودان الغربي ،حيث ارتبط هذا التواصل بأسس ساهمت وأعطت دفعا قويا،في ارتباط ذهنية وفكر أمـم وشعوب هذه البلدان في ما بينها ،و يعتبر انتشار السلام ، واللغة العربية ، ومختلف الطرق الصوفية ، حجر أساس في هذا التواصل ، إضافة لدور القوافل التجارية التي كانت صمام أمـان للوصـول العلماء و طلاب العلم و تجار الفقهاء ،و شيوخ الزوايا و الطرق الصوفية نحو مختلف الـمراكز العلمية و الحضارية لبلدان إفريقيا جنوب الصحراء ،و تشير الدراسات، على أن هذه الـحركة لم تتأثر بالظروف السياسة إلا في فترات نادرة عبر التاريخ.

لقد كان للتوطد العلاقات الاقتصادية أن توطده معها العلاقات الثقافية ،حيث استمر التواصل ،بهجرة العلماء و طلاب العلم بحثا عن العلم ومصادره، أو للتدريس ، أو للإمامة ، أو لطلب الإجازة، أو بحثا عن الأمان،كما ساهمت الرحلات العلمية خاصة علماء توات تجاه السودان الغربي ، في إرساء دعـائم التواصل الثقافي والحضاري بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء ،هذا التواصل الذي تجلي في العديد من المعالم و المظاهر أهمها[29].

1-ركب الحجيج:

يشكل ركب الحجيج أهم محطة ليتقي فيها العلماء ،وطلاب العم،من مختلف أقطار السودان الغربي و الجزائر،إذ تعتبر توات محطة عبور واستراحة ،إذ رصدت لنا العديد من المصادر هـجرة العلـماء للحج والرحلات العلمية ، اذ يتم في هذه المناسبة التقاء العلماء فيها ،ويتم تبادل المسائل الفقيه ،ويـتم فيها تبادل الكتب ،إعـــارة أو بيعا[30]، وهداية،كما كانت تمنح العديد من الإجازات لبعـض طلاب والاضطلاع على المـتنوج الثقافي العالم لمختلف أمم وشعوب الجزائر دان إفريقيا وبل جنوب الصحراء.

2-الزيارات العلمية :

[28] Bozzo di borgo,role ldess hoggar dans le commerce transsaharien ,(sant date),p18-20.

[29]محمد طمار ، المرجع السابق،ص 237-238.

[30]الشيخ عبد الكريم المغيلي:حل بتوات1478م،بعد محاربته اليهود،استقر به المقام بقصر بوعلى،يعود له الفضل في في إرساء قواعد الطريق القادرية بتوات ،والتي انتشرت في ما بعد بأصقاع السودان الغربي .

تشير العديد من الدراسات التاريخية على أن علماء الجزائر كانوا كثيري التردد على بلاد السودان الغربي ،إذ كان الفضل لعبد الكريم المغيلي[31] في وضع حجر الأساس للعلماء شمال الإفريقي من بعده للتواصل الحضاري ،إذ يعد علماء الجزائر من الموثوق في قدرتهم العلمية و الخلفية لذا كانوا مرحبا بهم من طرف سلاطين مختلف المماليك الموجودة بالسودان الغربي ،كما تشير المصادر والمراجع أنه في العصورالحديثة لعب علماء توات[32] دورا كبيرا في الحياة الثقافية بالسودان الغربي و كانوا كثيري التردد بمختلف العواصم و الحواضر العلمية بكل تمبكتو،و اوران ،و ولاته، بفضل الرخاء الاقتصادي و الازدهار العلمي الذي كانت تزخر بهذه المراكز العلمية ،إذ انعكس انتقال علماء الجزائر إلى السودان الغربي بالإيجاب ، حيث استطاعوا التعريف بالمنتوج الثقافي و الفكري العالم ،ونقل مختلف العادات و التقليد و المعارف و الصنائع إلى هذه البلدان ،ومن العلماء الذين زاروا الحواضر العملية للسودان الغربي ،الشيخ مصطفى بن احمد الرقادي الكنتي (1744م) الذي انتقل إلى بلاد التكرور،و الشيخ عبد الكريم التنيلاني (1755)الذي أسس خاصرة لمبروك رفقة الشيخ كنته،أما أروان فقد زارها الطالب احمد التواتي (1762)م،و الشيخ مولاى سي حمي(1780م)زار بلاد التكرور أربعة مرات ،و الشيخ محمد أب المزمري (1747م) زار تمبكتوا و اوران و درس بها ،إضافة إلى العالم الزجلاوي عمل مدرسا وقاضيا بإحدى مراكز العلمية بالسودان الغربي ،و استطاع علماء توات تأسيس العديد من الزوايا و المساجد في كل من تمبكتو و أما العلماء و طلاب العلم الذي زار توات لطلب العلم أو الانجازات،فنجد الطالب عبد الله مبروك[33].

الفلاني قدم من بلاد التكرور، طالبا للعلم تتلمذ على يدي الشيخ عمر التواتي التنيلاني ،و تتلمذ على يدي الشيخ عبد الكريم البكري الطالب الشيخ الإد وعلى ، أصبح دارسا ومدرسا ...الخ[34].

لقد لعبت الزيارات العلمية دورا كبيرا في إرساء داعم التواصل الثقافي مما ساهم في بروز علماء أجلاء من بلاد السودان الغربي ،الذين تتلمذوا على علماء الجزائر خاصة علماء توات ، الذين

---

[32] **توات**،تعتبر توات من المراكز الصحراوية الهامة،فموقعها أهلها لان تكون حلقة وصل بين مراكز الشمال الإفريقي و بين السودان الغربي،يهتم سكانها بتجارة القوافل التي تمر على واحاتهم ذهابا وإيابا،وتعتبر من بين المراكز العلمية التي ساهمت في الإشعاع العلمي بالسودان الغربي .

[33]- عبد الله مقلاتي،التراث المخطوط لعلماءالجزائرفي غرب إفريقيا،محاولة إحصاء وتعريف،مجلة دراسات، العدد الثاني،الجزائر، اكتوبر2013.ص 153-157 .

[34] مبارك جعفري،علماء منطقة توات و تأثيرهم في السودان الغربي خلا القرن 17م،دورية كان التاريخية،العدد 16، الجزائر،جوان 2012،ص92-93.للمزيد عن نشاط علماء التوات بالسودان الغربي ،انظر،بودواية مبخوت الحركة العلمية باقليم توات خلال القرنين 08-10 الهجري،مذكرة ماجستير ،جامعة تلمسان،2012/2011.

يرجع لهم الفضل في توطيد هذه العلاقة مما أعطى مدا و صرحا بين هذه الشعوب ،واستطاعت هذه الزيارات من أن تمزج العناصر الثقافية، فنشطت الحلقات العلمية ،ودروس الوعظ و الإرشاد ، وشاعت ضرورة تعلم اللغة العربية، لاعتناق أهل السودان الغربي الإسلام وتشبثهم به و ضرورة التعرف على مقاصده[35].

3-الإجازات العلمية :

تعتبر الإجازة العلمية بمثابة الشهادة في يومنا هذا ،و لأهميتها اهتم أهل العلم بالحصول عليها من علماء مشهود لهم بالعلم والمعارف،إذ أجاز الشيخ عبد الرحمان بن عمر التواتي التنيلاني ، الشيخ عبد الله الفلاني الذي قدم من بلاد التكرور لطلب العلم،كما أجاز الشيخ البكري عبد الكريم ،الشيخ سيدي محمد الإد وعلى (1764م)، حيث درس بتوات ، وذاع صيته ،وأسس زاوية ومدرسة بفنوغيل،و تشير الرحلات العلمية ومختلف المصادر على أن طلب الإجازات العلمية قد شاع الحصول في تلك الفترة لأهميتها وتمييز صاحبها عن أقرانه من طلاب العلم ،وكان لهذه الشهادة الفضل في التواصل الثقافي بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء[36].

4- مراحل التعليم ومناهجه:

تؤكد الدراسات التاريخية على أن مراحل و مناهج التربوية في بلاد السودان الغربي ،يغلب عليها الطابع التربوي للبلدان شمال إفريقيا خاصة الجزائر ،إذ تؤكد نفس الدراسات على سبيل المثال لا

الحصر ، أن الحاضرة العلمية بتمبكتو،بها مراحل التعليم هي نفسها في الحواضر العلمية بالجزائر ،فالمرحلة الابتدائية هي المرحلة الأساسية للطالب ،يتعلم فيها مبادئ القراءة، و الكتابة ،و تحفيظ

القرآن،إضافة إلى إتقان الخط[37]،أما المرحلة الثانوية و التعليم العالي ،فبعد أن ينتهي الطالب من المرحلة الابتدائية ،فانه يدخل مرحلة التعليم العالي و الانخراط فيها حرا ،إذ تدرس في هذه المرحلة ، كتب مبسطة ،و أمهات الكتب،وهذه المرحلة تتوقف على مدى استيعاب الطالب، ومن الكتب المهمة التي يتم تلقينها للطلاب،كتب المنطق،و الفقه،و النحو ،الحديث [38]،...الخ،وكان طلاب العلم يتنقلون من مكان إلى أخر و من حاضرة إلى أخري ،فكلما حل عالما إلا وتجد الطالب يرتحل الطالب طلبا للعلم أو

---

[35] عبد الله مقلاتي ،المرجع السابق،158-159.

[36]مبارك جعفري،العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 16،ب.ط،دار السبيل للنشرو التوزيع ، بن عكنون،الجزائر،2009،ص 70-75.

20- عبد الحميد جنيدي،المدارس ونظام التعليم في مدينة تمبكت(تمبكتو)في القرن السادس عشر الميلادي،مجلة كان التاريخية ،عدد 19،الجزائر،مارس2013،ص 90

[38] عبد الله مقلاتي ، المرجع السابق،ص 155.

الإجارة ،و إذا ما حاولنا أن نسقط هذه المراحل على التعليم بمراكز العلمية الجزائرية نجدها تكاد تكون نفسها .

أما مناهج التدريس بالعواصم العلمية بالسودان الغربي، فتكاد تكون نفسها الموجودة في المدارس و المعاهد المنتشرة في الجزائر ،و كأنك في قسنطينة أو مازونة أو توات أو تلمسان فالكتب و المناهج هي نفسها المتداولة في بلدان الشمال إفريقي، إذ يشيرالسعدي إلى بعض نماذج، ككتب عياض،و كتب سحنون، وكتب المغيلي،والونشريسي،وموطأ مالك،صحيح مسلم،و صحيح البخاري وكتب شرخ زروق..الخ.

لقد شملت الحياة العلمية ببلدان إفريقيا جنوب الصحراء جميع العلوم النقلية و العقلية التي تحيط بجميع مناحي الحياة،القرآن ، الحديث،الفقه،التفسير،النحو، الفلسفة،الرياضيات،الفلك،الأدب.[39]

و الملاحظ هنا أن مراحل التدريس و المناهج و كتب التدريس هي نفسها الموجودة و الشائعة في اغلب العواصم الثقافية في الجزائر،وان دل على شيء إنما يدل على ارتباط بلدان إفريقيا جنوب الصحراء بالمركز و علماء الجزائر مما اثر فيهم ،فانتهجوا نفس مراحل التعليم وحتى مناهجه.

5-الزوايا و الطرق الصوفية:

تشير الدراسات التاريخية المتخصصة في الزوايا و الطرق الصوفية ،على الدور الكبير،والبارز الذي لعبته مختلف الزوايا و الطرق الصوفية و التي كانت منطلقاتها توات ،و بفضلها انتشر التعليم بتوات و بلدان السودان الغربي ،إذ كانت مقصد العلماء و طلاب العلم و المريدين من مختلف الجهات [40]،و لعل الزاوية الكنية [41] ،التي أسسها الشيخ احمد بن محمد الرقاد الكنتي سنة 1590م،التي كانت تعج بطلاب العلم ،وذاع صيتها بالسودان الغربي ،حيث أصبحت من اهم قنوات الاتصال بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء ،إضافة إلى زاوية سيدي عمر بن صالح باقروت، و زاوية تنيلان 1648م، و التي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الونقالي ،و زاوية الركب النبوي اقبلي بتدكلت ، أسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان أبى النعامة[42]،والتي كان يجتمع فيها

---

[39] عبد الحيد الجنيدي،المرجع السابق ،ص 21.للمزيد انظر: عبد الرحمان السعدي،تاريخ السودان،ط2، مكتبة هوداس ، ،باريس،1964،ص164.

[40] مبارك جعفري،علماء توات وتاثيرهم في السودان الغربي ،المرجع السابق،ص94-95.

[41] الزاوية الكنتية،أسسها الشيخ اخمد بن محمد الرقادي الكنتي(1590م)،انتشرت ببلاد السودان الغربي ،من شيوخها الشيخ سيدي على الرقادي(1707)،ومحمد المصطفى(1721)،تخرج منها العالم محمدبن آب المزمري و عمر التنيلاني.

[42] زاوية الركب النبوي :تعتبرمن أهم الزوايا التي يجتمع فيها ركب الحجيج،لعب دورا متميزا في المجال العملي و . التربوي،كانت تقام فيها المجلس العلمية ،ودروس الوعظ و الإرشاد،تمنح فيها الأجازات،و تباع فيها الكتب و تعار..الخ

ركب الحجيج القادم من السودان الغربي و المغرب،و كان لهذه المناسبة أن تنشط المجالس العلمية، وتمنح الإجازات ،ويتم مناقشة العديد من المسائل الفقهية، و حل العديد من الـــــعقد ،وتنشط بها دروس الوعظ والإرشاد[43].

والملاحظ حسب الدراسات المتخصصة دائما أن توات ظلت البوابة التجارية و العلمية في التواصل بين الجزائر و السودان الغربي ، إذ ساهم موقعا و الرخاء الاقتصادي الذي كانت تتمتع به ،من انتشار الزوايا و الطرق الصوفية و ارتباط السودان الغربي بها .

أما الطرق الصوفية ، فقد ذاع صيت الطريقة القادرية [44]، و التي يرجع الفضل في انتشارها بالسودان الغربي إلى ،الشيخ عبد الكريم المغيلي ،ولها العديد من الزوايا التابعة لها ، أما الطريقة التيجانية ،فانتشرت بصورة متوسطا [45] ،إلى غاية تأسيس حمي الله ،الطريقة الحمالية ،حيث دعى إلى ضرورة تجيد الطريقة التجانية ،وانتشرت بالسودان الغربي،وكان لها مريدين كثر . و بهذا لعبت الطرق الصوفية و الزوايا دورا كبيرا في ربط الصلات الثقافية و الروحية بين الجزائر و السودان الغربي[46]

ثالثا :اثر القوافل التجارية في التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان أفريقيا جنوب الصحراء

لقد كان للطرق و القوافل التجارية العديد من الانعكاسات في العلاقات الجزائرية مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء،حيث أفرزت هذه الحركة النشطة سواء على المستوى التجاري أو الثقافي ،إذ خلفت العديد من الآثار ، أهما :

أولا:الآثار الاقتصادية :

أوجدت تجارة القوافل عبر مختلف المسالك والطرق التجارية ،التي تربط الجزائر بالسودان الغربي ،شبكة متكاملة ومتجانسة المعالم و المهام،حيث نشط الحراك الاقــتصادي مما ساهم في تطور

،للمزيد انظر:عمار هلال،الطرق الصوفية ونشر الإسلام و الثقفة العربي في غرب افريقيا،ط1،منشورات وزارة السياحة،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر 1988.

[43]عبد الله مقلاتي المرجع السابق،ص 156-158.

[44] الطريقة القادرية:أسسها الشيخ عبد القادر بن ابي صالح بن عبد الله الجيلي الحسني ولد بجيلان سنة470ه،انتقلت إلى الجزائر بواسطة الولي الصالح أبو مدين بن شعيب بن الحسيين،انتشرت في كل إرجاء الجزائر ،تعتبر من أكبر الطرق انتشارا في العالم،لعبت دورا كبيرا في ربيط الصلات الثقافية و الروحية بين الجزائر و السودان الغربي.للمزيد حول الطريقة القادرية ،انظر:محمد بن بريكة،موسوعة الطرق الصوفية ،الطريقة القادرية ،ج1،ص 10-12.

[45]جعفري مبارك ،العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلا القرن 12ه،ص 70-73

[46]عبد العالي بوعلام،الدور الثقافي و الديني للطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر ،مجلة الواحات،العدد15،الجزائر،

ونمو العديد من المماليك بالسودان الغربي،وغطي التواصل التجاري بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء،بصور ة كاملة مختلف الحاجيات المعيشية و الصناعية وحتىالفكرية ،كما خلف هذا التواصل العديد من الآثار في الجانب الاقتصادي و من أهمهما :

1-الشـــــــغل :

عرفت العصور الحديثة حركة تجارية نشطة بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء ،و نتج عنها حركة في مجال التشغيل في مختلقات التخصصات و الحرف ،إذ نشطت مهنة الحراسة وزاد الطلب عليها ،إضافة إلى مهنة الشواف ،و الترجمان ، و الإدلاء، و الطبيب، السقياة...الخ[47] ،مؤجري الجمال،كما استفادة العديد من القبائل لفرضها الضرائب على القوافل التجارية للمرور،أو جوازات الأمان ،أو حماية القوافل من قطاع الطرق ،وتستفيد في دخلها بالمبدلات التجارية مع مختلف القوافل التجارية[48] ،كما تنوب القبائل عن مختلف التجار في نقل البضائع إلى أعماق الصحراء في بعض الفترات ،مقابل تعويض مادي أو جزء من أرباح القافلة[49].

و من خلال تتبعنا لأثار الاقتصادية ندرك القيمة الاقتصادية و المالية لتجارة القوافل و أثرها المادي على مختلف سكان وأمم و المماليك الإفريقية و بلدان شمال إفريقيا على العموم ،إذ ضمنت تجارة القوافل مناصب و مدا خيل قارة على طول السنة، مما ساهم في رقي و تطور الأسر و المدن ، والقرى .

2- المبادلات التجارية :

لقد كان لتجارة القوافل دورا بارزا و ايجابيا و فاعلا في العلاقات التجارية بين الجزائر و السودان الغربي خلا العصر الحديث ،و أصبحت وسيلة ناجعة في خلق التحام اقتصادي مستمر عاد على الطرفين بالرقي و النمو و الازدهار، بل شكلت هذه القوافل معرضا منتقلا يقوم على الدوام بعملتي البيع والشراء ،[50]ومع موسم الحج تنشط المبادلات التجارية لمختلف المراكز التجارية ،و مختلف الأسواق الجهوية أو نقاط بيع على مستوى الممرات و المسالك والطرق التجارية الرابطة بين

---

[47] يحي بوعزيز،المرجع السابق،،ص46-48.

[48] عماري الحسين، دورالقوافل الصحراوية التجارية بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء،مجلة عصور، الجزائر ،اكتوبر2015،ص203

[49] رشيد حفيان:الطرق و القوافل التجارية بين الحواضر المغاربية و أثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين(17-18)م،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير،تاريخ الحديث و المعاصر،جامعة الأمير عبد القادر ،الجزائر-2013-20114،ص95-96.

[50] رشيد حفيان: المرجع السابق،ص97.

الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء،خاصة تمبكتو و توات[51]،التي كانت محطات عبورأو توقف لاستراحة،أو التزود بالمؤن،أو تصريف السلع التي يأتي بها الحجاج من مكة المكرمةو كان التجار يدفعون ضريبة مقابل عرض سلعهم بمختلف الأسواق،تعرف بضريبة حق السوق،وهي مضبوطة حسب قيمة البضاعة،و نوعيتها[52]،

ومن الأهم السلع التي يتم فيها التبادل ويكثر عليها الطلب،الفلفل الأسود ،والقهوة،و المسك، الجاوي..الخ،كما تشير الدارسات على الصيرورة الدائمة لحركة رؤوس الأموال و ديمومتها بين الأقطار التي ترتبط ببعضها اقتصاديا،إذ بعثت هذه الحركة التجارية إشعاع تنموي ،ساهم بشكل كبير في تطور وازدهار المجتمعات الإفريقية و المغاربية على العموم والجزائر بوجه خاصةو بالأخص سكان المراكز التجارية بالجنوب الشرقي للجزائر[53].

3- الوساطة التجارية:

لقد أصبحت القوافل التجارية بين الجزائر والبلدان إفريقيا جنوب الصحراء الوسيط الغير مباشر مع الدول الأوربية ،إذ يجلب تجال الشمال الإفريقي السلع الأوربية التي يكثر عليها الطلب بمختلف المراكز التجارية بالسودان الغربي ،و تأتي هذه القوافل بالذهب و ريش النعام و العبيد ،و العاج الذي يسوق لمختلف التجار الأوربيين خاصة الذهب و العبيد الذي كثر عليهما الطلب في العصور الحديثة ،حيث أغرة الثروات العظيمة الأوربيين ،فعزموا على اكتشاف مسالكها عن طريق المستكشفين ، رغبتا منهم في السيطرة على التجارة الصحراوية ، وغزوها في ما بعد ، وهو ما تحق لمختلف الدول الأوربية[54] .

كما حافظت القوافل التجارية ،بفضل حركتها النشطة بين الجزائر وبلدان إفريقـــــيا جنوب الصحراء على العديد من الصناعات التقليدية و الحرفية،إذ كان لوفرة المواد الأولية للإنتاج و وجـــود أســـواق الاستهلاكية لهذه المنتوجات،إذ زاد الطلب عليها ، حيث زاد عدد الدكاكين الخاصة و عدد العمال الشغالين على مختلف الصنائع التقليدية و الحرفية[55]، بل أن هناك من الصناعات من تطورت

---

[51]عبد الرحمان السعدي،المصدر السابق،ص164-168..

[52]حسن الوزان،المصدر السابق،ص135-136.

[53] المصدر نفسه،ص 136-138.

[54] يحي بوعزيز،المرجع السابق،39-40.

[55]من أهم الصنائع و الحرف المنتشرة،صناعة الأقمشة ملونة و مزركشة،القطنية،و الحريرية،و اشهرها الجوخ و الشاش، و الأسلحة بانواعها،الدروع،النبال،والسهام،الخناجر،التروس،الاقواس،البنادق،،وكذلك حرف صناعة،السروج، الالجمة،و صناعة الأواني المنزلية،القدور،والأمواس،الإبر،إضافة إلى أدوات الزينة،للمزيد انظر يحي بوعزيز ،تاريخ إفريقيا الغربية،ص 46-74.

لبروز مواد أولية جديدة و تداخل الثقافات ،و العادات والتقاليد ، مما أدي إلى تغير العديد من الصناع نحو الأفضل ، و أدى كذلك إلى ترقية الذوق العام ، و بروز ظاهرة الأناقة في اللباس[56] .

وكان للحفاظ على الصناعات التقليدية، و تجارة القوافل أن ساهمت في الجابيات الحكومية[57] إذا كان الجهاز الإداري في الجزائر،و على اختلاف تخصصاته وتفرعها يتفق في هدف واحد هو جباية الضرائب للبقاء النظام العثماني قائم،و كان لزيادة مختلف الصنائع و الدكاكين والشغالين عليها،ووضع الجهاز الإداري بالجزائر العديد من الضرائب ،و التي تنوعت أشكالها ومقاديرها يدفعها،تجارالقوافل لمرور سلعهم أو دخولهم الأسواق،و نفس الشئ بالنسبة للحرفيين و صناعيين .

ثانيا:الآثار الثقافية :

تشير الدراسات التاريخية على إن تجارة القوافل بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء خلفت العديد من الآثار الثقافية ،من أهما :

1-نقل العلماء: من مميزات التواصل التجاري نقل العلماء و طلاب العلم ،بغرض الحصول على الإجازة،أو الإمامة، أو التدريس، أو الحج ، أو التجارة ،أو الهروب من الظروف السياسة ، إذ توفر القافلة التجارية كل سبل الأمن و الحماية و الراحة و المؤونة للعلماء و طلاب العلم لتحقيق أهدافهم من الرحلة ،إذ يلتقي العلماء في هذه الرحلة في مختلف المراكز التجارية مع علماء المغاربة و من مختلف المراكز العلمية خاصة في فترة الحج [58]، التي يكثر فيها هجرة نحو البقاع المقدسة لأداء الفرض الخامس في الإسلام ، حيث يتم تداول العديد من القضايا و المسائل الفقهية ، و يخرج العديد من الفتاوى طبقا للمسألة المطروحة ، كيف يتم تبادل المعارف و العلوم ،و إعارة الكتب أو بيعها ،باعتبارها من التجارة المربحة في ذلك الوقت،،وساهم العلماء في ظلال الرحلة التجارية ،من ترقية الاتصال الإنساني ،حيث انتشرت الحضارة الإسلامية في ربوع السودان،نظرا لازدهار العلمي و الرخاء الاقتصادي التي عرفته مختلف دول وممالك السودان الغربي[59] ،إذ وجد العديد من العلماء ضالتهم في التدريس و الإمامة ،والقضاء ، خاصة علماء الجزائريين الذين كانوا موثوق في علمهم و خلقهم.

---

[56] عماري الحسين ،المرجع السابق،194.

[57] رشيد حفيان ،المرجع السابق ،ص 107،للمزيد انظر :عميراوي حميدة،بحوث تاريخية،ط2،عين مليلة،الجزائر،2006

[59] -مريم لمام،العمارة الصحراوية و أنماطها الاجتماعية(دراسة سيولوجية اثروبولوجية)،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات،العدد 15،الجزائر،2011ص320-321.

[59] زبادة عبد القادر،ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري،مجلة الأصالة،الجزائر،عدد خاص،1977،ص 146-174.

وكان مرور القوافل التجارية بمختلف العواصم العلمية ،مناسبة لتبادل المعارف،والآراء،وحل المسائل ، وتمنح الإجازة العلمية،وكان السودان الغربي حسب الدارسات التاريخية الوجهة المفضلة للعلمـــاء الشمال الإفريقي خاصة الجزائر و بالأخص علماء توات ،الذين يجع لهم الفضل في مد الجســـور الثقافية بيم الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء.

2-رواج الكتب والمخطوطات : تعتبر الكتب و المخطوطات بمثابة الشاهد الوحيد و الأوحد على المنتوج الفكري للعلماء و الفقهاء في تلك العصور ،إذ يعبر انتشار الكتاب على التطور الحـــضاري و الثقافي ، كما يوضح مدي الحركية العلمية التي عرفتها العصور الحديثة ،خاصة بين الجزائر والسودان الغربي، كمل أن انتشار الكتب و المخطوطات يعبر على المنتوج العلمي ،إذ كانت تجارة الكتب مـــن السلع الرائجة في تلك العصور لذا كانت القوافل التجارية لا تخلوا من هذه السلعة التي كان يتهافت عليها العلماء وطلاب العلم سواء من الجزائر، أوعلماء بلدان إفريقيا جنوب الصحراء ،وتشير الدارسات التاريخية على أن المكتبات بالسودان الغربي تحفظ العديد من كتب و المخطوطات الجزائرية ،إذ يشـــير الأستاذ عبد الله مقلاتي ،إلى أن علماء توات لهم العـــديد من المصـــــــــنفات والمخطوطات التي ما تزال إلى يومنا هذا في خزائن و مكتبات ، كل من مالي و النيجر و غانا، ونيجيريا ،و موريتانيا ، ومن أهم هذه المكتبات ما يلي:

1-مكتبة احمد بابا التنبكتي 127 مخطوطا.

2-مكتبة ماما حيدة بمالي 84 مخطوطا.

3-مكتبات غانا 31 مخطوطا.

4-مكتبتي شنقيط و ودان بموريتانيا 8 مخطوطات.

5-مكتبة كادونا بنيجيريا 60مخطوطات[60] .

و تشير الدراسات على أن علماء توات لم يكتفوا بالتدريس فقط، بل مارسوا الإمامة ،و أسسوا العديد من المدارس و الزوايا و الرابطات لتعليم القرآن و اللغة العربية و تـــعليم المبادئ الإسلامـــية[61] ،إذ اشتهروا بالفطنة العلمية ، والتصوف و الزهـــد[62].وكان لرواج تجارة الكتب ، أن راج معـــها

[60]-عبد اله مقلاتي ،المرجع السابق،160.
[61]- رشيد حفيان المرجع السابق ،ص 102.
[62]-رشيد حفيان،المرجع السابق، ص 160-163

التبادل المعرفي ،إذ كانت القوافل التجارية ،و مناسبة الحـــــج الفرصة المناسبة لطرح الـــعديد من المسائل الفقهية ،و حل المشاكل بين التجار أو الحجاج[63].

لقد قدمت الطرق و القوافل التجارية [64] ،للمسافرين(تجـــارة،طلبة عـلم،حجاج،علمـــاء،مريدين ،مستكشفين ،رحالة ،...الخ)،إلى إمكانية التعرف على بعض المناطق و اكتشاف أسرارها،و إدراك منابعها الحضارية و الثقافية و العمرانية ،حيث تركت أثارها في المنتوج الثـــقافي للعلماء و الرحالة في ذلك الزمان،كما كانت القوافل وسيلة إعلامية إخبارية ،حيث يتم تداول أخبار و ظروف المناطق ،من حيث الأمن ، الحركة التجارية، النشاط العلمي ،زيارة العلماء التي كانت القوافل التجارية تنقلها و تنشر أخبار قدومهم إلى منطقة ما .

هذه الآثار ساهمت بشكل كبير في إرساء معالم التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء،كما ساهمت في تنشئة اجتماعية اعتمد على المجال العلمي التربوي ،فنسجت علاقة فكرية وحضارية وطيدة بين هذه الأمم.

ثالثا:الآثار العمرانية :

لقد ساهمت القوافل التجارية و مختلف المسالك التـجارية ،في انتقال المؤثرات الحـــــضارية من الجزائر إلى بلدان إفريقيا جنوب الصحراء ،و منحت حركة اقتصادية وثقافية و عمـرانية ،وتـــرك النشاط التجاري المكثف بين الشمال الإفريقي و السودان الغربي،العديد من الآثار العمرانية [65].منـــــها:

1-نمو و تطور العمران: لقد أعطت الطرق و القوافل التجارية ديناميكية كبيرة في نـــمو وتطور العديد من المركز التجارية أو مختلف المناطق القريبة منها ،سواء الأسواق الداخلية أو الجهوية ،أو على مختلف مسالك القوافل التجارية،حيث عرفت المراكز التجارية تبادل تجاري مكثف، سمح بولوج و استقرار العديد من التجار و القبائل بهذه المـــراكز أو بالـــــــقرب منها ، هـــــذه المراكز كانت عامرة و مكتظة بالسكان بفضل تجارة القوافل ،كما نمت العديد من المماليك و الإمارات ببلاد السودان الغربي ،و قامت بها العديد من المدن الإسلامية،حيث عرفت إشعاعا ثقافيا و اقتصاديا ،نظرا للرخـــاء الاقتصادي و استقطابها للمختلف التجار من أنحاء الشمال الإفريقي ،و عرفت المدن الجنوب الشرقي و الغربي للجزائر نموا وتطورا حفظته لنا مختلف المصادر و الرحلات العلمية ،ومن أهـــــم هذه

---

[63]-المرجع نفسة 162

[64]- نفسه،ص105-106.

[65]- يحي بوعزيز ،المرجع السابق،ص 18.

المدن نجد ورقلة،وتوات ،أما بالسودان الغربي فعرفت تمبكتو،و اوران، وكـــــوكة، وجنـــي ، تطورا عمرانيا كبير[66].

كما شكل حفر الآبار في مختلف طرق القوافل التجارية ، والمراكز التجارية ،حيث ساهم بشكل كبير في استقطاب القبائل و السكان ،إذ استوطنت العديد من القبائل بمختلف المناطق التي تكثر فيها أبار المياه ،وقد انعكس هذا المصدر الحيوي على النشاط التجاري و الزراعي ،حيث شكل الماء احدي أهم الموارد الطبيعية التي يسعى الإنسان لتحصيلها،وتعتبر الآبار بمثابة ،حاصل للنشاط التجاري بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء[67].

الخاتمة :

لقد أسست الطرق و القوافل التجارية قاعدة تواصل حضاري على مر السنين ،بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء،خاصة في العصور الوسطى و الحديثة ،و بواسطتها انتقلت الحضارة العربية و الإسلامية إلى السودان الغربي و التي تجلت معـــــــالمها في اعتناق أهل السودان الغربي الدين الإسلامي،و سعيهم لتعلم اللغة العربية و فنونها،حيث لعب الشمال الإفريقي في هذا الجانب دورا بارزا وكبير ،خاصة الجزائر ،حيث استطاع علمائها من نشر معارفهم من مختلف العلوم،و ساهمـــــوا في انتشار الزوايا و الطرق الصوفية ،هذا النشاط انعكس بالإيجاب على بلدان السودان الغربي ،حيث نشطت المراكز العلمية و استقطبت العلماء من كل حدب وصوب ،لتوفر الظروف الملائمة كالرخاء الاقتصادي،و رحابة صدر حكام مختلف الإمارات و المماليك ببلدان إفريقيا جنوب الصحراء ،حيث كانوا يهتمون أي ما اهتمام بالحياة الثقافية و العلمية .

ولقد قلدت مختلف المراكز العلمية المناهج العلمية و التربوية في التعليم ،وهذا يدل على الارتباط الفكري و النمطي بين أهل العلم في الجزائر و علماء السودان الغربي ،وكان لهذا التواصل أن امتزجت العديد من التقاليد و العادات و التي تجلت في التعليم، الزوايا،انتشار المساجد،الطرق الصوفية ،الملبس ، و المأكل ،والعمران،والخط،الألوان ...ال

[66]-رشيد حفيان،الرجع السابق،ص109-110.
[67]المرجع النفسة،111-112.

قائمة المصادر والمراجع:

1بشار لطيفة،التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بنب عبد الواد من القرن السابع الى القرن العاشر الهجريين رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،.

1986

2-رشيد حفيان:الطرق و القوافل التجارية بين الحواضر المغاربية و أثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين(17-18)م،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير،تاريخ الحديث و المعاصر،جامعة الأمير عبد القادر ،الجزائر-2013-20114

3زبادة عبد القادر،ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري،مجلة الأصالة،الجزائر،عدد خاص

4-بشار لطيفة،التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في عهد امارة بنب عبد الواد من القرن السابع الى القرن ، العاشر الهجريين رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،1986

5محمد طمار،الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج،ب ط،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،.1983.

6- الحسن محمد الوزان،وصف إفريقيا،ط2،ترجمة،حجي،أدور المغرب الاسلامي،بيروت،لبنان،1983 .

7حمية بن أصغير حاضري،الحركة التجارية بالجنوب الشرقي للجزائر ما بين (10-17)م،مجلة الوحات للبحوث و الدراسات، عدد16 الجزائر،.2012.

8عبد العالي بوعلام،الدور الثقافي و الديني للطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر ،مجلة الواحات ،العدد 15،الجزائر 2011.

9عبد الله مقلاتي،التراث المخطوط العلماءالجزائرفي غرب إفريقيا،محاولة إحصاء وتعريف، مجلة الدراسات ،العدد الثاني،الجزائر، اكتوبر2013..

10عطية عبد الكامل ،الروابط التجارية بين الشمال و جنوب الصحراء الكبرى من خلال المصادرالعربية و الرحالة،الأوربيين بين القرنين(15-19)م،ملجة كان التاريخية،العدد23،الجزائرنمارس2014.

11عمار هلال،الطرق الصوفية ونشر الإسلام و الثقفة العربي في غرب إفريقيا،ط1،منشورات وزارة السياحة،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1988.

12عماري الحسين، دورالقوافل الصحراوية التجارية بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء،مجلة عصور الجزائر ،اكتوبر2015،

13عميراوي حميدة،بحوث تاريخية،ط2،عين مليلة،الجزائر،.2006.

14 فرج محمد،إقليم توات خلال القرنين الثامن والتا سع عشر الميلادي،المؤسسة الوطنية للكتاب،1988

15محمد شاطو،أهمية تمنطيط و دورها في تجارة القوافل خلال العصور الحديثة، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ،عدد 9، الجزائر ديسمبر 2009،..

16مريم لمام،العمارة الصحراوية و أنماطها الاجتماعية(دراسة سيولوجية اثروبولوجية)،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات،العدد 15،الجزائر،2011.

17مبارك جعفري،علماء منطقة توات و تأثيرهم في السودان الغربي خلا القرن 17م،دورية كان التاريخية،العدد 16،الجزائر،جوان 2012.

18ميارك جعفري،العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن16،ب.ط،دارا لسبيل للنشرو التوزيع ،بن عكنون،الجزائر،2009.

19نبيلة حسن محمد،في تاريخ إفريقيا الإسلامية،دار الألمعية الجامعية ،الجزائر ،2013،ص 141-142.

20-يحي بوعزيز،تاريخ إفريقيا الغربية،طبعة خاصة،دارالبصائر للنشر و التوزيع،الجزائر،2009...

[21] Edourd blanc ,les routes de l'afrique septentuionale au soudan(buk.soc),paris ;1890.p-169-207.

[22]Bozzo di borgo,role ldess hoggar dans le commerce transsaharien ,(sant date),p18-20